

نماذج من الشعر الجاهلي: د. منى محمد الحسيني

يعرّف العصر الجاهلي بالفترة الممتدة قبل بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والتي استمرت قرن ونصف أو مئتان قبل البعثة . سمي بالعصر الجاهلي لما شاع فيه من الجهل، بسبب جهل الناس بعقيدة إبراهيم عليه السلام، فسُموا جاهليين، وليس المقصود بالجهل الذي هو ضد العلم بل الجهل الذي ضد الحلم .

ميّزات العصر الجاهلي امتاز العصر الجاهلي بظهور الشعراء، وبروز قصائدهم التي نالت الاستحسان؛ إذ قاموا بتعليق بعض تلك القصائد على جدران الكعبة لتدلّ على عظمتها، كأمثال معلقة امرؤ القيس الذي كان أبوه ملك أسد وغضفان، وأمّه أخت الزّير سالم. كان لقبه الملك الضّلّيل، وكان يحبّ اللهو واللّعب، وتميّز شعره بالغزل، ومن أغراض الشعر الجاهلي الوصف والغزل والهجاء، والرّثاء، والمعلّقات، والفخر، والمدح والأمثال والحكم والقصص

أبرز خصائص الشعر والبيئة الجاهليّة :

- كان يصوّر البيئة الجاهليّة، ومميّز بالصدق في التعبير، وكان الشعر الجاهلي يكثر التصوير في أشعاره .
- كان للعرب في العصر الجاهلي أسواقٌ تجارية؛ كسوق عكاظ الذي كان يتوافد إليه الشعراء والتّجار، وكانت الأشعار تُتداول شفويّاً في الأسواق.
- كانت اللّغة العربيّة في العصر الجاهلي معروفة جدّاً، وتغنّى بها الشعراء بأجمل القصائد والأشعار، وكانت اللّغة العربيّة تشغل بالهم، ويفتخرون بها.

إمرؤ القيس

اسمه جندح بن حُجر بن الحارث الكندي (٥٠٠ - ٥٤٠ م) اشتهر بلقب أَمْرُؤ الْقَيْس، هو شاعر عربي من مكانة رفيعة، برز في فترة الجاهلية، ويُعدّ رأس شعراء العرب، وأحد أبرزهم في التاريخ، اختلفت المصادر في تسميته، فورد باسم جندح وحندج ومليكة وعدي، وهو من قبيلة كندة يُعرف في كتب التراث العربية بألقاب عدة، منها: المَلَكُ الضّلّيل وذو القروح، وكُني بأبي وهب، وأبي زيد، وأبي الحارث. كان يعدّ من عشّاق العرب، ومن أشهر من أحب هي فاطمة بنت العبيد التي قال فيها في معلقته الشهيرة

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ ... وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَرْمَعْتُ صَرْمِي فَأَجْمَلِي

وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ ... فَسَلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسَلِ

شرح البيتين: يقال أزمعت عن الأمر، وعزمت عليه وأجمعت عليه سواء، والصرم القطيعة، وقوله فأجملي أي في اللفظ، وقال أبو عبيدة: أفاطم أبقى بعض هذا التدلل. الخليفة: الخلق، والثياب: كناية عن اللقب، نسل ريشه ينسله: إذا رماه. أي أخرجي قلبك من حبي تنسل أي تبين.

أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبِّكَ قَاتِلِي ... وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ

شرح البيت: الغر الذي لم يجرب الأمور او الغر الطري

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ... ترائبها مصقولة كالسجنجل

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي ... بناظرة من وحش وجرة مطفل

شرح البيتين: المهفهفة: الخفيفة اللحم التي ليست برهلة ولا ضخمة البطن، والمفاضة المسترخية البطن من قولهم حديث مستقيض، وقيل مهفهفة معناه أنها لطيفة الخصر والترائب جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر. والسجنجل: المرأة قال يعقوب هذا حرف رومي وقيل سبيكة الفضة، وقيل السجنجل الزعفران وقيل ماء الذهب الصد والصدود: الإعراض، والصد أيضا الصرف والدفع، والفعل منه صد يصد، والاصداد الصرف أيضا، الإبداء: الإظهار، الأسئلة: امتداد وطول الخد، وقد أسل أسالة فهو أسيل، الالتقاء: الحجز بين الشيئين، يقال: اتقيته بترس أي جعلت الترس حاجزا بيني وبينه، وجرة: موضع، المطفل: التي لها طفل. يقول: تعرض العشيقة عني وتظهر خدا أسيلا وتجعل بيني وبينها عينا ناظرة، شبهها في حسن عينيها بظبية مطفل. وتلخيص المعنى: إنها تعرض عني فتظهر في أعراضها خدا أسيلا وتستقبلني بعيون مثل عيون ظباء وجرة لها أطفال، وخصهن لنظرهن إلى أولادهن بالعطف والشفقة.

وفرع يزين المتن أسود فاحم ... أثبت كفنو النخلة المتعكل

وَيُضْحِي فَتِيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا ... نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

تضئ الظلام بالعشاء كأنها ... منارة ممسى راهب متبتل

شرح الأبيات: الفرع الشعر التام وأعلى كل شيء فرع، والفاحم الشديد السواد، مشتق من الفحم والأثيث: الكثير، الفَنُو (بضم القاف وكسرها): العَدْقُ بما فيه من الرُّطْب. (والجمع): أَقْنَاء، وقِنَوان. والمتعكل: الداخل بعضه في بعض والنخلة المعكلة التي خرج عناقيدها أي قنواتها، وقيل المتعكل المتدلي. يقول: تبدي عن شعر طويل نام يزين ظهرها إذا أرسلته عليه ثم شبه ذوائبها بقنو نخلة أخرجت قنواتها والذوائب تشبه العناقيد.

فتيت المسك: ما تفتت منه، عن جلدها في فراشها، وقيل: كأن فراشها فيه المسك من طيب جسدها، لا أن أحدا فتت لها منه مسكا، وقوله (يضحى) أي: يدخل في الضحى لم تنتطق، فتعمل وتطوف ولكنها تتفضل ولا تنتطق، وقيل التفضل هو التوشح وهو لبسها أدنى ثيابها، والانتطاق؛ الانتزار للعمل. يريد أنها مخدمة منعمة تخدم ولا تخدم والاضحاء مصادفة الاضحاء

أي كأنها سراج منارة والمعنى إن منارة الراهب تشرق بالليل إذا أوقد فيها قنديله، وخص الراهب لأنه لا يطفئ سراجهم وممسي راهب إي إمساء راهب والتبطل الانقطاع عن الناس للعبادة ومعنى البيت إنها مضيئة الوجه إذا ابتسمت بالليل رأيت لها بريقا وضوءا وإذا برزت في الظلام استنار وجهها وظهر جمالها حتى يغلب ظلمة الليل.

الأعشى

اسمه أعشى قيس (هـ/٦٢٩ - م/٥٧٠) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن ربيعة بن نزار. لقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر، والأعشى في اللغة هو الذي لا يرى ليلا ويقال له: أعشى قيس والأعشى الأكبر. ويكنى الأعشى: أبا بصير، تفاؤلا. عاش عمرا طويلا وأدرك الإسلام ولم يسلم، عمي في أواخر عمره.

وَدَعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مَرْتَحِلٌ، وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيَّهَا الرَّجُلُ؟

غَرَاءُ فَرَعَاءُ مَصْنُوقٌ عَوَارِضُهَا، تَمْشِي الْهُوَيْنَا كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحِلُ

كَأَنَّ مَشْيَتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارَتِهَا مَرُّ السَّحَابَةِ، لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِيزَانَ طَلَعَتْهَا، وَلَا تَرَاهَا لَسِرَ الْجَارِ تَحْتَلُّ

يَكَادُ يَصْرَعُهَا، لَوْلَا تَشَدُّدُهَا، إِذَا تَقَوُّمٌ إِلَى جَارَاتِهَا الْكَسَلُ

هريرة قينة أي مغنية الغراء: البيضاء الواسعة الجبين، وروي عنه أنه قال الغراء البيضاء النقية العرض، والفرعاء الطويلة الفرع: أي الشعر والعوارض الرباعيات والأنياب تمشي الهوينى: أي على رسلها، والوجي المطيئة التي تشتكي حوافرها من السير حافية.

المشية: الحالة، وقوله مر السحابة أي تهاديها كمر السحابة، وهذا مما يوصف به النساء.

تختل وتختل واحد بمعنى تسرق وتخدع فهي لا تفعل هذا.

يقول لولا أنها تشدد إذا قامت لسقطت ويقول: إنها تكاد أن تنهار من بطئها وعبائها إذ تسعى إلى زيارة إحدى جاراتها.

أبو ذؤيب الهذلي

كنيته فقد اشتهر بها، واسمه خويلد بن خالد بن محرث بن زبيد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن نزار. من فحول الشعراء، وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام فحسن إسلامه، و يقال أنه مات في أرض الروم، و دفن هناك. تعد هذه العينية لأبي ذؤيب الهذلي من عيون الأدب الجاهلي ، و هي قصيدة أنشدها بعد أن هلك له خمسة من بنيه في عام واحد، أصابهم الطاعون:

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبُهَا تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مِّنْ يَجَزَعُ
قَالَتْ أُمَيْمَةُ مَا لِحِسْمِكَ شَاحِبًا مُنْذُ ابْتَدَلْتَ وَمِثْلُ مَا لِكَ يَنْفَعُ
أَمْ مَا لِحَبْنِكَ لَا يُلَائِمُ مَضْجَعًا إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
فَأَجَبْنَاهُ أَنْ مَا لِحِسْمِي أَنَّهُ أَوْدَى بَنِيَّ مِنَ الْبِلَادِ فَوَدَّعُوا
سَبَقُوا هَوًى وَأَعْقَوْا لِهَوَاهُمْ ***** فَتُخَرَّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَّصْرَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا ***** أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

نوع الاستفهام (أمن) : استتكري، المنون جمع منية وهو الموت ، واستخدم صيغة الجمع(المنون) ؛ لوفاة أولاده كلهم في يوم واحد ، ، الريب : حوادث الدهر والمصائب والفجائع . المعتب : مرضي ، الجزع: عدم القدرة على الصبر لشيء قاهر. فالقصيدة جاءت على لسان زوجة الشاعر له دلالة على اضطراب وألم بالشخصية بأسلوب حوار، فالشاعر يصطنع شخصية ويحاورها. وأرجع الشاعر سبب الموت للدهر ؛ لذلك هو لا يستطيع الانتقام أو التأثر لأولاده من الدهر.

أميمة : زوجة أبي ذؤيب، وأميمة مشتقة من الأم وتصغير لها، فهي أم الأولاد، وقد تكون شخصية وهمية جردها الشاعر من نفسه ، الشاحب: متغير وهزيل (لون داخلي)، تغير بلونه، منذ: ظرف زمان مبني على الضم، ابتذلت : الابتذال: قلة الاحتشام وتحقير النفس ، الغرض من الاستفهام (ما لجسمك شاحبا) ؛ استتكري.

أم: للتخيير جاءت بمعنى أم+ ماذا ، لا يلائم : لا يوافق ، مضجعا: اسم مكان على وزن مفعول ، وتعني مكان النوم والراحة، أفض : أقلق فلا يستطيع النوم، ذاك :اسم إشارة، . إلا: أداة حصر .المعنى العام للبيت:تسأل أميمة الشاعر عن سبب قلة نومه ، فهو لا يكاد يضع جنبه على الفراش حتى يقوم إما مفزوعا من حلم أو يصيبه الأرق فيظل يتقلب على فراشه.

أودى: بمعنى هلك ، مات ، ذهب وتهيأ للذهاب . ودعوا: كان آخر عهدهم أن ذهبوا وماتوا، إن جواب الشاعر لزوجته أميمة ممزوج بالحسرة والألم والندم، والأمر لا يتعلق بقلة مال أو فقر، بل هو هلاك أبنائه من البلاد(الموت).

هوي:سقطوا ، أي ماتوا ، أعنقوا: العنق ، الرقبة، أي ضربوا بأعناقهم ، تخرموا: تشققوا أو تقطعوا أخذوا واحداً بعد آخر، والمقصود هنا هو الموت. مصرع : مصدر ميمي ، جنب : الإنسان (مجاز مرسل علاقته جزئية، فذكر الجزء وأراد الكل) ، مصرع: الموت يقول الشاعر:لقد سبقوني إلى الموت وقتلوا وكأنه يريد أن يقول إنه كان يحب أن يسقط قبلهم.

أنشبت: غرزت، ألقيت : بمعنى وجدت، التميمة : هي ما يعلق على الأعناق من خرز أو غيره لدفع الأضرار أو الأمراض أو العين أو السحر وهي من العادات الجاهلية التي مازالت موجودة حتى يومنا هذا.